بسم الله الرحمن الرحيم

الاثنين 23/9/2013 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة التفسير

سورة الكهف (23)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

فنحن في تفسير آيات من سورة الكهف.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا * قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا * فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا * أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ

أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا * وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: 60-81].

بدأنا في الكلام عن قصة سيدنا موسى عليه السلام بحديث جاء في صحيح البخاري أخبرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بدأنا باستعراض بعض الفوائد المستفادة من القصة فكان أول ما عرضنا عليه:

1- فضل زيارة الصالحين.

2- الرحلة في طلب العلم.

رأى رجلٌ مع الإمام أحمد محبرة، فقال له: يا أبا عبد الله أنت قد بلغت هذا المبلغ، وأنت إمام المسلمين، ومعك المحبرةُ تحملها!! فقال: (**مع المحبرة إلى المقبرة**) [مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي].

كبار أهل العلم يتمنون الموت وهم في طلب العلم؛ لما في ذلك من فضل كبير.

3- لتحصيل العلم أدوات يجب الأخذ بها منها:

أ. **الصاحب المعين:** ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ فكان يكفي من سيدنا موسى أن يذهب بمفرده لكنه أخذ معه مُعيناً وصاحباً.

لا بد لك من أخ وصاحب ليحفز كلٌّ منكما همةَ صاحبه.

أفضل طريقة لحفظ القرآن أن تكون مع صاحب؛ ليأخذ بيدك للتنافس معه وها هو سيدنا جبريل يراجع النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم في كل عام مرة فلما كان العام الأخير راجعه مرتين فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن موعد اللقاء قد قرب.

لا تحضر مجلس علم بمفردك بل أحضِرْ صاحبَك معك.

نقرأ في كل صلاة سورة الفاتحة وفيها آية نقول فيها ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: 6-7] فنحن نطلب من الله أن يأخذنا إلى صراط الصالحين مع أنه صراط الله تعالى لكن لما سلكه الصالحون صار صراطهم صراط الله.

قال أهل التربية الروحية: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ حتى لا يستوحش المريد في سلوكه ويظن أنه بمفرده ويعلم أن هذا الطريق سلكه إليه ومعه وفيه أناس صالحون من قبله.

يفضل من الصاحب الذي تختاره أن يكون أفضل منك؛ حتى يدفعك إلى الأعلى، أو أن تكونا متقاربين فتشدا من همة بعضكما البعض.

أول عمل قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة هو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: ((**كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي المَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ اليَوْمِ مِنَ الوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ**)) [البخاري].

ب. الدفتر والقلم:

قال العلماء: كل شيء ليس في القرطاس ضاع.

قال الإمام الشافعي:

العِلمُ صَيدٌ والكِتابةُ قَيدُهُ ... قَيِّدْ صيودكَ بالحِبالِ الواثِقَة

فَمِن الحَماقَةِ أَنْ تَصيدَ غَزالَةً ... وتَترُكها بَينَ الخَلائقِ طالِقَة

قد تقرأ كتاباً طويلاً أو تحضر محاضرة ثم يخرج معك عبارة واحدة تستفيد منها.

المرء يكتب أفضل ما قرأ أو سمع، ويحفظ أفضل ما كتب.

4- العلم فيه تعب ويحتاج إلى صبر ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾.

قال أحمد شوقي:

وما نيل المطالب بالتمني ... ولكن تؤخذ الدنيا غلابَ

وما استعصى على قوم منال ... إذا الإقدام كان لهم ركابَ

إذا لم تغالب نفسك على العلم وعلى حفظ القرآن الكريم فلن تنال مطلبك.

قال الجاحظ: (**العلم عزيز الجانب، لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، وأنت إذا أعطيته كلك كنت من إعطائه إياك البعض على خطر**) [الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه لأبي هلال العسكري].

قال ابن خلدون: ((الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم، والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علماً وتعليماً وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها)) [مقدمة ابن خلدون].

من الممكن أن تتعلم من الكتاب أو من القنوات الفضائية أو من الإنترنت لكن هذا جزء وهناك جزء آخر لا يتحصل إلا من طريق الملاقاة والمشافهة وما تراه في عينك.

يقول ابن الجوزي: ((من أنفق عصر الشباب في العلم؛ فإنه في زمن الشيخوخة يحمد جني ما غرس، ويلتذ بتصنيف ما جمع، ولا يرى ما يفقد من لذات البدن شيئاً بالإضافة إلى ما يناله من لذات العلم، هذا مع وجود لذاته في الطلب الذي كان تأمل به إدارك المطلوب، وربما كانت تلك الأعمال أطيب مما نيل منها، كما قال الشاعر:

أَهْتَزُّ عِنْدَ تَمَنِّي وَصْلِهَا طَرَبًا وَرُبَّ أُمْنِيَةٍ أَحْلَى مِنَ الظَّفْرِ

ولقد تأملت نفسي بالإضافة إلى عشيرتي الذين أنفقوا أعمارهم في اكتساب الدنيا، وأنفقت زمن الصبوة والشباب في طلب العلم، فرأيتني لم يفتني مما نالوه إلا ما لو حصل لي ندمت عليه.

ثم تأملت حالي، فإذا عيشي في الدنيا أجود من عيشهم، وجاهي بين الناس أعلى من جاههم، وما نلته من معرفة العلم لا يقاوم. فقال لي إبليس: ونسيت تعبك وسهرك؟! فقلت له: أيها الجاهل! تقطيع الأيدي لا وقع له عند رؤية يوسف، وما طالت طريق أدت إلى صديق)) [صيد الخاطر لابن الجوزي].

قال الصالحون: **العباد ثلاثة:**

أ. **قوم جاؤوا إلى الله تعالى بالامتنان.**

ب. **وقوم جاؤوا إلى الله تعالى بسلاسل الامتحان.**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلاَسِلِ**» [البخاري].

إن الفاجر إذا نزل به البلاء كالبعير أوثقه أهله ثم أطلقوه فلا يدري لم أوثقوه ولا يدري لم أطلقوه.

هناك بعض الناس لم يفهم على الله مطلقاً، فتراه يرتكب المعصية في لُجَّة هذا البلاء، وإذا ما صرخت به!! قال: لا أستطيع ترك المعصية! فهل ينتظر هذا صاعقة تنزل على رأسه أم صيحة تزلزله من مكانه؟؟!

ت. وقوم تركهم إلى النيران.

سئل بعض أهل التربية الروحية: من أين حصلت على هذا القرب من الله؟ قال: من جلوسي تحت هذا الدرج عشرين سنة.

قال أحد الصالحين: كابدت الصلاة عشرين سنة.

احبس نفسك على ما تكره وسيكون النفع من بعدها؛ لأنك إذا جعلت صبرك لله تعالى كان جزاؤك من الله تعالى.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.